البحث البلاغي في تفسير آلاء الرحمن

للشيخ محمّد جواد البلاغي (1282 هـ – 1352 هـ)

أ . م . د . عبد الزهرة كاظم سمحاق

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمّد بن عبدالله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وبعد .

لقد كان القرآن الكريم موضعَ عناية الدارسين من علماء الأمّة الإسلامية ، لذا انصبت جهودهم على دراسة تفسيره ، وتوضيح آياته ، واستنباط أحكامه وتشريعاته ، واستجلاء حقائقه ، والكشف عن القدرة الفنية والإبداع التصوري ، والأداء التعبيري الأصيل في لغة القرآن الكريم ، بعدّها مصدر ثقافتنا اللغوية والأدبية ، ومنبع ثروتنا الفكرية الخالدة ، إذ تطوّع جمع من خيرة العلماء والمتخصصين على مرّ العصور المتعاقبة لدراسته من جميع أبعاده المختلفة ، كلٌّ حسب تخصصه ، فتعددت مناهج التفسير تبعاً لتعدّد التخصّص لدى كلّ منهم ، ومن هؤلاء الذين خاضوا عُباب هذا البحر الشيخ محمّد جواد البلاغيّ (ت 1352 هـ) في تفسيره (آلاء الرحمن في تفسير القرآن) ، فقد درس فيه تفسير آيات القرآن الكريم من جميع جوانبها ، ولم يقتصر على ناحية دون أخرى ، إذ أصبح مرجعاً مهماً يرجع إليه كثير من المؤلّفين في التفسير ممن جاؤوا بعده .

ونتيجة لأهمية هذا التفسير وشهرته في الأوساط العلمية كافة ، فقد ارتأينا أن ندرس جانباً مهماً من تفسيره ، وهو (الجانب البلاغي) ، إذ لم يُدرس بعدُ – حسبما نعلم – فقد اخترنا أن يكون موضوعاً لبحثنا المتواضع (البحث البلاغي في تفسير آلاء الرحمن للشيخ محمّد جواد البلاغيّ) .

لذا جاءت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدّمة وثلاثة مباحث وتمهيد عرضتُ فيه اهتمام الشيخ البلاغيّ ببلاغة القرآن وطريقة دراسته للأغراض البلاغيّة أثناء تفسيره للآيات الكريمة .

وتحدثنا في المبحث الأول عن الأساليب البلاغيّة المختلفة التي أشار إليها البلاغيّ في تفسيره ، سواء أكانت بمعانيها الحقيقية أم المجازية التي خرجت إليها عن مقتضى ظواهرها ، مستفيداً في ذلك من سياق الكلام وقرائن الأحوال .

وأمّا في المبحث الثاني فقد تكلمنا فيه عن الصورة الفنية التي اشتملت على المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض ، من خلال رؤية البلاغيّ التفسيرية .

وكان المبحث الثالث بعنوان : فنون بديعية ، وقد تحدّثنا عنه بشكل موجز بخلاف المبحثين المتقدّمين ، وذلك لقلة المادة العلمية المتعلّقة به التي حصلنا عليها في تفسير البلاغيّ .

وبعد هذه الدراسة أنهيت البحث بخاتمة ذكرنا فيها النتائج التي توصلنا إليها . ثمّ يأتي بعدها فهرست المصادر والمراجع .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

تمهيد :

عني الشيخ محمّد جواد البلاغيّ في تفسيره (*) ببلاغة القرآن الكريم عناية تامة ، لأنّها تتعلق بإعجازه ، لذا وجدنا عند وقوفه في تفسير الآي ، يبيّن ما في تراكيبها من أساليب بلاغية مختلفة ، وصور فنية متنوعة ، وفنون بديعية رائعة ، كانت السبيل المفضي إلى فهم كتاب الله تعالى ، لأنّه كما يقول البلاغيّ : ((مبني على أرقى أنحاء البلاغة العربية وتفننها بمحاسن المجاز والاستعارة والكناية والإشارة والتلميح ، وغير ذلك من مزايا الكلام الراقي ببلاغته ، مما كان مأنوس الفهم في عصر النزول ورواج الأدب العربي وقيام سوقه ، وكان بحيث يفهم المراد منه ومزاياه بأُنس الطبع ومرتكز الغريزة كلّ سامع عربي)) (1) .

والبلاغي لا يدرس الأغراض البلاغية بشكل مستقل ، وإنّما يدرسها ضمن سياقها عند تفسيره لبعض الآيات الكريمة ، لأنّها لا قيمة إعجازية لها في حدّ ذاتها ، فهي تتردد على ألسنة الشعراء والفصحاء ، وإنّما قيمتها الإعجازية تأتي في التركيب ، وما تضفيه على التغيير من جمال وروعة ، فهو في هذا يسير على وفق الخطّ الذي رسمه عبدالقاهر الجرجاني (ت 471 هـ) الذي يرى أنّ جمال الصور البيانية من هذه الأنواع البلاغية لا يرجع إلى مدلولاتها ومضامينها ، وإنما يرجع إلى المعاني الإضافية التي يلاحظها الحاذق البصير من تراكيب

العبارات ، وصياغتها وخصائص نظمها وصور نسقها وسياقها (2) .

ولهذا السبب شنّ عبدالقاهر الجرجاني حملته على بعض المفسّرين ، لأنّهم توهّموا في الألفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل وغيرها ، إنها على ظواهرها فيفسدون المعنى بذلك ، ويبطلون الغرض ويمنعون أنفسهم والسامع معهم من العلم بموضوع البلاغة أو بمكان الشرف ، وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه يكثرون في غير طائل هناك ، ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه أو زند ضلالة قد قدحوا به (3) .

وفي ضوء ذلك حاولنا قدر المستطاع أن نقتنص ورود هذه الوجوه البلاغية في تفسيره ، الذي اخترناه أنموذجاً في هذه الدراسة المتواضعة ، وكيف وظّفها في تحليله للنصوص القرآنية وبيان دلالتها على الغرض البلاغيّ ، الذي جاءت به حسب المعنى الذي يوحي به سياق الكلام ، أو تفرضه طبيعة النصّ الفني في استكمال صيغته الجمالية أو قيمته البنائية .

المبحث الأوّل : الأساليب البلاغية

تعرّض البلاغيّ عند تفسيره للآيات الكريمة إلى أساليب بلاغية كثيرة ومنها :

أوّلاً : الخبر :

وهو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته (4) ، وقد وقف البلاغيّ مراراً عند أساليب الخبر في مواضع مختلفة من تفسيره ، فمثلاً عند تفسيره الجملة { ولن تفعلوا } من الآية المباركة : { فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } (5) . قال : (({ وَلَنْ تَفْعَلُوا } إخبارٌ لهم بأنهم لا يفعلون ذلك كخروجه عن القدرة البشرية مهما برعوا وتقدموا في الفصاحة والبلاغة ، ومهما تعاونوا واستعانوا بالبشر)) (6) .

وواضح أن قوله تعالى : { وَلَنْ تَفْعَلُوا } تعني أن العرب وهم أهل البلاغة والفصاحة لا يستطيعون أن يأتوا بسورة مثله أبداً ، لأنّ الأداة (لن) الواردة فيه ، تنفي على التأبيد في المستقبل ، وفيه دلالة على صحّة نبوّة الرسول الأعظم (ص) ، لأنّه يتضمّن الإخبار عن حالهم في مستقبل الأوقات ، بأنّهم لا يأتون بمثله المخبَر عن الخبر (7) .

وفيه أيضاً إثارة وتحريك لنفوسهم أو استنهاض هممهم ، ليكون عجزهم بعد ذلك أبلغ وأبدع ، وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها (8) . فضلاً عن ذلك أن الجملة

الخبرية جاءت في الآية المباركة ، جملة فعلية تفيد الدوام والاستمرار وثبوتها في التحدي ، وشأنه المستمر الذي لا يحيد عنه أو يتجدد آناً فآناً .

وفي تفسير الجملة : { وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } من قوله تعالى : ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (9) . قال : ((إخبارٌ من الله بفضلهم في الطاعة والإيمان)) (10) .

وهذا النوع من الخبر عند البلاغيين يسمّى بـ (الخبر الابتدائي) ، لأنّه يكون خالياً من المؤكدات ، لأنّ المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمّنه (11) .

وفي تفسير الآية المباركة : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (12) . بعد أن بيّن البلاغيّ معنى لفظة (الحمد) الواردة فيها ، والفرق بينها وبين الألفاظ المقاربة لها بالمعنى ، إذ قال : ((فجملة (الحمد لله) خبرية ، إن كانت من كلام الله في تمجيده وتنويهه بجلاله جل شأنه)) (13) . ثمّ استشهد برواية الشيخ الصدوق (ت 381 هـ) المرفوعة بسنده إلى الإمام الرضا (ع) : ((ليس شيء من القرآن والكلام ، جُمع فيه من جوامع الخير والحكمة ، ما جُمع في سورة الحمد ، وذلك أنّ قوله عزوجل : (الحمد لله) إنّما هو أداء لما أوجب الله عزوجل من الشكر ، وشكر لما وفّق له عبده من الخير)) (14) . وبعدها أشار إلى رأيه الأخير فيها ، هل هي جملة خبرية محضة ، أو جملة خبرية تتضمن الإنشاء أي : (احمدوا الله ربّ العالمين) فقال : ((إذن فجملة { الْحَمْدُ لِلَّهِ } إلى آخره ، إنّما هي عن لسان العباد وتعليم لهم كيف يحمدون ويوحّدون ويقرّون ، فهي خبرية تتضمّن إنشاء الحمد بأنّه كلّه وبحقيقته لله)) (15) .

وبناء على رأي البلاغيّ هذا تحتاج الجملة إلى تقدير الفعل (قولوا) : { الْحَمْدُ لِلَّهِ } وهو ضعيف في رأي الفخر الرازي (ت 606 هـ) الذي يرى أنّ قوله : (({ الْحَمْدُ لِلَّهِ } إخبار عن كون العبد حقّاً له وملكاً له ، وهذا كلام تامٌ في نفسه ، فلا حاجة إلى الإضمار ، كما أنّ قوله : { الْحَمْدُ لِلَّهِ } يدلّ على كونه تعالى مستحقاً للحمد بحسب ذاته وبحسب أفعاله ، سواء حمدوه أم لم يحمدوه ، لأنّ ما بالذات أعلى وأجلّ ما في الغير)) (16) .

ويرى الآلوسي (ت 1270 هـ) أنّ جملة ((الحمد لله جملة إخبارية ، وهو قول معظم العلماء)) (17) . وقال السيد مصطفى الخميني (ت 1398 هـ) : ((إنّها جملة إخبارية ولا تنافٍ بينها وبين كونها مفيدة للإنشاء والتقرب للعبودية ، فإن ذكر جميل المحبوب على

الواقع نفسه في مقام الأنس والخلوة ، هو عين التقرب بذلك والتولي بشأنه)) (18) .

وعلى كلا القولين فإنّ الأمر بالحمد مما تشير إليه الآية المباركة ، فإن كانت خبرية فإنّ من لوازم هذا الخبر أن يحمد العبد ربه ، وفائدة كون الجملة خبرية الدوام والاستمرار ، وحمده سبحانه وتعالى حاصل له الثبوت والاستقرار ، وفائدة كونها إنشائية طلب تجدد الحمد من العبد مرة بعد أخرى ، وفيه معنى الاستقرار ، إذ حمد العباد له متجدد لا ينقطع .

وكثيراً ما يخرج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر ، وهو معناه الحقيقي (المركزي) إلى معانٍ مجازية (هامشية) لتحقيق أغراض كثيرة تُفهم من السياق وقرائن الأحوال . وقد أشار البلاغيّ في غير موضع من تفسيره إلى معانيها الإضافية التي خرجت إليها عن معناها الحقيقي . ففي تفسير الجملة { وَقُولُوا حِطَّةٌ } من الآية المباركة : { وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ } (19) ، قال : (({ وَقُولُوا حِطَّةٌ } بالرفع خبر لمحذوف ، أي سجدونا وعبادتنا حطة لذنوبنا ، والجملة خبرية يراد بها الدعاء ، أي اجعل سجودنا وعبادتنا سبباً لحط ذنوبنا عنا ...)) (20) .

وفي تفسير الجملة { لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ } من قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... } (21) . قال : (({ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ } وحده لا شريك له في العبادة والإلهية ، والجملة خبرية يراد بها النهي ، والخبرية في مقام الطلب أبلغ من الإنشائية ، وهي والجمل المعطوفة عليها معمولة القول المدلول عليه بأخذ الميثاق)) (22) .

وفي تفسير قوله تعالى : { وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ... } (23) . قال : (({ وَالْمُطَلَّقَاتُ } بالطلاق المشروع { يَتَرَبَّصْنَ } جملة خبرية يُراد بها الأمر ، وذلك أبلغ من الإنشاء في الطلب والإيجاب ، لصوغه بقالب أنّ المطلوب منه يقع منه ذلك ولا يكذبك ...)) (24) .

وتقدير الكلام (لِيَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ) (25) . قال الزمخشري (ت 548 هـ) : ((وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنّه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله ، فكأنهنّ امتثلن الأمر بالتربص ، فهو يخبر عنه موجوداً ...)) (26) .

وكذا الحال عند تفسيره الجملة { يَتَرَبَّصْنَ } الواردة في الآية الكريمة : { وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا } (27) . قال : (({ يَتَرَبَّصْنَ }

هي خبر يراد به الأمر المؤكد ، تكون خبر المبتدأ ، والرابط بينهما هو الضمير الذي يجلوه المقام والسياق بمثل جلوّه المذكور ، لوضوح أنّ فاعل التربص تلك الأزواج اللاتي يتركها المتوفون ، فقدّر كذلك ما يناسب تقديره)) (28) . فالسياق البلاغيّ نقل الفعل المضار ع الذي يفيد الزمن الحضوري إلى الزمن المطلق لكل امرأة ذات ولد ، أنها أمٌ له بما ينبغي أن تفعله في كلّ آنٍ ومكانٍ ، وهذه هي الجمالية البديعة .

وفي تفسير قوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } (29) . قال البلاغيّ : ((... وفي الآية توبيخ وتسفيه لهؤلاء بالإشارة إلى أنهم لا يهتدون بعقولهم ودلالة العقل على وحدانية الله في الإلهية به ، ولزوم اتباع أوامره فيمن أمر باتباعه ، واتباع نواهيه فيمن نهى عن الضلال باتباعه ، ولا يهتدون إلى اليقين بما توعّد الله به من أنواع العذاب الأليم في يوم القيامة ، وأنّه ليس من دونه ولي ولا نصير ، بل هؤلاء كالبهائم لا تلتفت إلا إلى ما تراه وتحسه ...)) (30) .

وفي تفسير قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (31) . قال البلاغيّ : ((وقد اقتضت مناسبة المقام والمقابلة توبيخ الكافرين على كفرهم وسوء أعمالهم وبيان خسرانهم وخيبتهم وسوء عاقبتهم ...)) (32) .

ومما تقدم يتبين لنا أن البلاغيّ من خلال تفسيره أشار إلى الأغراض المجازية للجملة الخبرية التي خرجت عن مقتضى ظاهرها ، كالدعاء والنهي والأمر والتوبيخ والإنكار وغيرها ، مستنداً في ذلك على سياق النص القرآني ، وقرائن الأحوال ، بما يمتلكه من ذوق فني ورهافة حسٍ ، فالعلاقة الفنية بين أسلوب الجملة الخبرية وهدفها في الأغراض المجازية تعدّ أسلوباً بلاغياً جميلاً ذا رونق بهيٍّ في السبك وصفاً وبرهاناً ، وإيضاحاً موحياً ، وتدلّ على العلاقة الترابطية البنيوية بينها وبين الأشكال التعبيرية والمتعددة التي تخدم سياق الهدف من الأسلوب المجازي الخبري .

وبهذا تؤسّس لعلاقة المتلقي بها في ضوء الارتباط النفسي والفكري في وقت واحد ، ومن هنا تنبع الوظائف التي تقدمها الجملة الخبرية وتقدّم جماليتها في ضوء صلتها بالمخيلة الفنية للقائل ، وتمثّل في الوقت نفسه روح العصر وثقافته .

ثانياً : الإنشاء :

وهو كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته (33) . وهو على قسمين ، هما :

1 – الإنشاء الطلبي : وهو ما يستدعي مطلوباً وقت الطلب ، وهو خمسة أنواع : الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء (34) .

لقد تعرّض البلاغيّ إلى أساليب الإنشاء الطلبي كثيراً عند تفسيره الآيات الكريمة في مواضع عدة من تفسيره ، ومن هذه الأساليب :

أ – الأمر : هو ((صيغة معلومة مستعملة في طلب صادر عن استعلاء)) (35) . وله في النص القرآني بمعناه الطلبي صيغ عدة ، منها صيغة (افعل) ، وهي أكثر صيغ الأمر ، وبها يُصاغ فعل الأمر . فمثلاً عند تفسيره الآية المباركة { وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ... } (36) . قال البلاغيّ : ((... والظاهر من مراجعة الحديث وسبك اللفظ أن قوله تعالى : { وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ } أمر بإيجاب لإيجادهما تامّين بأجزائهما وشروطهما المشروعة ، كقوله تعالى : { ... مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ... } (37) أي أوجده حسناً ...)) (38) .

وفي تفسير الجملة { وَمَتِّعُوهُنَّ } من الآية المباركة : { لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ } (39) . قال البلاغيّ : ((... { وَمَتِّعُوهُنَّ } وجوباً لظاهر الأمر ، وإنّ الآية الأخرى بحسب سوقها ونظمها مع هذه كالصريحة في أنّ نصف المهر هو تمام ما تستحقه التي فُرض لها الصداق ، فتختص المتعة الواجبة بمن لم تُمس بالوطء ، ولم يُفرض لها مهر ، وعلى ذلك إجماعنا ...)) (40) .

وفي تفسير قوله تعالى : { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... } (41) . ذكر البلاغيّ أنّ ((اللام : للأمر ، و { مِنْكُمْ } للتبعيض ، فالوجوب كفائي منوط بحصول الغرض ...)) (42) . فاللام هنا جازمة تجزم الفعل المضارع وتحوّل دلالته إلى الأمر .

وفي تفسير الجملة { وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ } من قوله تعالى : { فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ } (50) . قال البلاغيّ : ((... { وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ } تكرار الأمر بالنظر يشير إلى انتقال الكلام إلى جهة أخرى تدل على طول لبثه في

الموت ، وهي أنّ حماره قد أفنته السنين ، وبادت أجزاؤه وتفرقت عظامه ، كما صرحت به الروايات المشار إليها ...)) (44) .

وعند تفسيره : { ... وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... } (45) قال البلاغيّ : ((إحساناً : مصدر نائب عن الفعل ، وهذا السبك أبلغ وآكد من أن يقال : وأحسنوا)) (46) .

فكلمة { إِحْسَانًا } مصدر دال على طلب الفعل والنائب عن فعله الطلبي ، وهو مصدر لفعل محذوف تقديره (أحسنوا) ، فحذف الفعل وأناب محله مصدره ، وهذه إحدى صيغ الأمر بمعناه الطلبي في النص القرآني .

وقد تخرج صيغ الأمر من معناها الحقيقي (الأصلي) وهو (الإيجاب والإلزام) إلى معانٍ مجازية أخرى ، تستفاد من السياق وقرائن الأحوال ، وقد لاحظ البلاغيّ هذه المعاني التي خرجت عن مقتضى ظاهرها ، عند وقوفه في تفسير الآي ، فمثلاً عند تفسيره لفظة { كُلُوا } الواردة في الآية المباركة : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ... } (47) . قال : ((الأمر هنا للإباحة { مِمَّا فِي الأَرْضِ } من بعضه ، مما أحله الله { حَلالاً } في نفسه { طَيِّبًا } في مأخذه ، وفي ذلك بلاغ لكم تعيشون به في نعمة الله ورحمته في هناء وسلامة في الآخرة ...)) (48) .

وفي تفسيره لفظة { وَاذْكُرُوا } من الآية الكريمة { وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ... } (49) . قال البلاغيّ : ((فالأمر في الآية للاستحباب ووقته بعد كلّ فريضة من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من اليوم الثالث عشر ...)) (50) .

وفي تفسير قوله تعالى : { ... وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ... } (51) . قال البلاغيّ : ((أي على حقيقة المعاملة والأجل والشروط ، والأمر هنا للمتعاملين كقولك : ياصاحب الضيعة ليبت في ضيعتك حارس ، أي أبِتْ حارساً ، وقد ذكرنا أنه للإرشاد ، وهذا أعم من أن يكون الكاتب بينهما هو أحدهما ، لحصول الغرض به ، أو هو ناظر إلى الحال في عصر النزول ، من كون الغالب من العرب لا يكتبون)) (52) .

ب – النهي : هو ((طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام)) (53) . وله صيغة واحدة ، وهي الفعل المضارع المقرون بـ (لا) الناهية الجازمة ، وهي أكثر الصيغ انتشاراً وشيوعاً في التعبير عن النهي ، فمثلاً عند تفسيره الجملة { وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ

إِلَى التَّهْلُكَةِ } من الآية المباركة { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (54) . قال البلاغي : ((وهذا النهي عام لكل اقتحام في أسباب التهلكة ومظانّها ، ولابدّ من أن يكون النهي مقيداً بما إذا لم يكن في ذلك الاقتحام حياة الدين ونصرته ، كما في نهضة رسول الله (ص) في أول دعوته ، وإقدام سيد الشهداء في امتناعه عن بيعة يزيد في مثل زمانه)) (55) .

وفي تفسير الجملة { وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ } من قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (56) . قال البلاغيّ : ((الخُطُوات : جمع خُطْوة ، أي لا تتبعوا أثره ، وتخطوا على خطاه في الضلال ولا تنقادوا على أثره ...)) (57) .

وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أُخر ، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال ، وقد رصد البلاغيّ ذلك في غير موضع من تفسيره ، ففي تفسير قوله تعالى : { ... وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ ... } (58) . قال البلاغيّ : ((أي من يحسن الكتابة في مثل المقام { أَنْ يَكْتُبَ } والنهي هنا للكراهة ، إذ لا يجب تسبيب الكتابة على المتعاملين ، فكيف تجب على غيرهما ؟ ولئن وجبت صنعة الكتابة كفائياً أداءً للوجوب في نظام العالم لم يقتضِ ذلك أن يجب على كلّ كاتب أن يكتب في كلّ مورد ...)) (59) .

وفي تفسير قوله تعالى : { رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } (60) . قال البلاغيّ : (({ رَبَّنَا } أي ياربنا ومالك أمرنا ، ومن بيده توفيقنا وخذلاننا ، ومناسبة السياق تقتضي أن يكون ذلك دعاءً من الراسخين في العلم في التوقيف للثبات على الهدى بما علمهم الله من التأويل ...)) (61) . لقد أشار البلاغيّ في تفسيره هذه الآية إلى أنها خرجت من معناها الأصلي (النهي) إلى المعنى المجازي (الدعاء) مستنداً في ذلك على سياق الآية .

وفي تفسير المقطع { وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } من قوله تعالى : { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } (62) . قال البلاغي : ((... والنهي ها هنا للإرشاد لا للتحريم ...)) (63) . وقد استند في ذلك على آية قرآنية وسياقها . وفي موضع آخر من تفسيره أشار إلى أن النهي المراد به التحريم (64) .

ج – الاستفهام : ((هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل)) (65) .

وذلك بأداة من إحدى أدواته ، وهي على نوعين (66) :

الأوّل : حرفان ، وهما الهمزة وهل ، وتستعمل الهمزة لطلب التصديق ، وهو إدراك النسبة ، أي تعيينها ، مثل : (أقام محمّد) الجواب يكون عنها بـ (نعم) أو (لا) . والتصور وهو إدراك المفرد ، أي تعيينه مثل : (أقام محمّد أم قعد) فالجواب عنها يكون بتحديد المفرد ، أما هل فلا يطلب بها غير التصديق مثل : هل قام محمّد ؟ والجواب عنها يكون بـ (نعم) أو (لا) ، كما أنهما ليس لهما معنى مستقل (67) .

الثاني : أسماء ، ولا يُطلب بها إلا التصور ، وهي : ما ، ومن ، أيّ ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنّى . لقد ذكر البلاغيّ في تفسيره أساليب الاستفهام ودلالاتها المتنوعة في مواضع مختلفة منه ، فمثلاً عند تفسيره الجملة { قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا } من قوله تعالى : { وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ } (68) . قال البلاغيّ : ((قل يارسول الله { أَتَّخَذْتُمْ } على سبيل الاستفهام الإنكاري ...)) (69) .

ويبدو من خلال هذا النص أنها جملة مثبتة ، وعندما وقع الإنكار فيها جعلها جملة منفية ، أي إنكار الإثبات نفي له ، فيكون المعنى : أن الله تعالى خاطب نبيه محمداً (ص) قائلاً له : قل لهم أتخذتم عند الله عهداً ؟ أي موثقاً لا يعذبكم إلا هذه المدّة ، وعرفتم ذلك بوحيه وتنزيله ، فإن كان ذلك فالله عزوجل لا ينقض عهده وميثاقه ، أم تقولون على الله الباطل جهلاً منكم به ، وجرأة عليه .

وعند تفسيره الآية الكريمة : { ... قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ... } (70) . يشير إلى أسلوب آخر من أساليب الاستفهام ، إذ قال : (({ قَالَ } الله له بالاستفهام التقريري { أَوَلَمْ تُؤْمِنْ } بقدرتي على إحياء الموتى ، وأني أحييها ...)) (71) .

إنّ هذا النص جملة منفية بالأداة (لم) ، ولكن عندما وقع الإنكار فيها جعلها جملة مثبتة ، أي إنكار النفي إثبات له ، فيكون المعنى : قال أولم تؤمن ؟ قال { بَلَى } ، وهي إيجاب لما بعد النفي ، معناه ((بلى آمنت ، ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي في العبارة الأولى ، ليكون إيمانه مخلصاً نص عليه بعبارة يفهمها كلّ من يسمعها فهماً لا يلحقه فيه شك)) (72) .

وفي تفسير الآية المباركة : { أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ

} (73) . أشار البلاغيّ فيها إلى دلالة أخرى من دلالات الاستفهام الإضافية التي خرجت عن معناه الأصلي ، إذ قال : (({ أَوَكُلَّمَا } الاستفهام للتوبيخ والتقريع على عادتهم القبيحة من أنهم كلما { عَاهَدُوا } الله أو رسله أو أنبياءه { عَهْدًا } نبذه وألقاه ...)) (74) .

وفي تفسير قوله تعالى : { ... هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ... } (75) . قال البلاغيّ : ((أي من النصر وإن لم يكن خطاباً لرسول الله ، بل فيما بينهم ، فيحتمل أن يريدوا من الأمر الحق ، ويكون استفهامهم إنكارياً ، كما يومئ إليه ما يأتي ...)) (76) . فالاستفهام هنا بحرف { هَلْ } ، وهو استفهام إنكاري . وهل في الأصل بمعنى (قد) ، وهي لا تدخل على الجمل المنفية ، بل على الجمل المثبتة ، سواء أكانت جملاً فعلية أم اسمية ، والمبحوث عنها في المقام جملة اسمية مثبتة .

وفي تفسير قوله تعالى : { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } (77) . قال البلاغيّ : (({ وَمَنْ } استفهام يرجع إلى الإنكار والنفي { يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ } في التوحيد والمعرفة والأخلاق الفاضلة والحنيفية ...)) (78) . فالاستفهام في هذه الآية جاء بأداة (مَنْ) ، وهو استفهام إنكار واستبعاد ، فكأنّه قال : ما يرغب عن ملّة إبراهيم ولا يزهد فيها إلا من سفه نفسه (79) .

وفي تفسير قوله تعالى : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ... } (80) . قال البلاغيّ : (({ فَكَيْفَ } حالهم { إِذَا جِئْنَا } يوم القيامة { مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ } أرسل إليهم رسول أو قام فيهم نبي أو إمام هدى { بِشَهِيدٍ } يشهد عليهم في ذلك المحشر العظيم بأنّه قد بلّغهم وبشّرهم وأنذرهم وأقام لهم الحجج وقطع المعاذير وأظهر دين الحق ونصر دلالة العقل عليه وحفظ لهم أحكام الشريعة ، ولا حاجة في ذلك اليوم إلى الشهيد ، ولكن يُؤتى به عليهم زيادة في خزيهم ببيان ما كانوا عليه من البغي والعناد للحقّ لحسرة ندامتهم بما كانوا يكسبون ...)) (81) .

(فَكَيْفَ) هنا أداة استفهام حقيقية ، ولم تخرج عن مقتضى ظاهرها إلى معنى مجازي آخر .

وفي تفسير قوله تعالى : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ... } (82) . قال البلاغيّ : ((يجوز أن يكون الخطاب المتكرر في الآية للكافرين ، وتكون { كَيْفَ } لتوبيخهم على كفرهم مع ما يذكر من الحجة ، ويجوز أن يكون ذلك خطاباً لجميع الناس وبياناً ، لأنّه لا يليق أن يختار الكفر إنسان له شعور مع قيام الحجج في نفس وجوده وأحواله على حقيقة العرفان لله ...

)) (83) .

(فَكَيْفَ) هنا أداة استفهام قد خرجت عن معناها الحقيقي ، وهو تعيين الحال إلى معنى آخر ، وهو التوبيخ ، ويفهم ذلك من سياق الكلام .

أمّا الأداة (أَنَّى) فإنها موضوعة للاستفهام ، وتأتي لمعانٍ عدّة ، وقد رصد البلاغيّ ذلك في تفسيره لبعض الآيات ، منها بمعنى (كيف) (84) ، كقوله تعالى : { ... أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ... } (85) ، ومنها بمعنى (من أين) (86) ، كقوله تعالى : { ... يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ... } (87) .

وفي تفسير قوله تعالى : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ... } (88) . قال البلاغيّ : ((... { حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } أين شئتم ، وقد أنكر بعضهم مجيء { أَنَّى } في اللغة بمعنى كيف ، أو بمعنى أيّ وقت ، والأول متيقن في اللغة والأخيران شكك فيهما . والظاهر أن (أنّى) الاستفهامية مساوية في المعنى للشرطية ، وكلما جاء في القرآن من الاستفهامية صالح لأن يراد منه المكان والجهة ، مع أنّ منها ما لا يصلح أن يكون بمعنى (كيف) كما في سورة آل عمران : { ... قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ... } (89) ، و { ... يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... } (90) . وأمّا بمعنى أيّ وقت فليس في القرآن ما يصلح له)) (91) .

وفي تفسير قوله تعالى : { ... ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ ... } (92) . قال البلاغيّ : (({ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ } في موتك هذا { قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ } ، وقد أظهرت المشيئة الإلهيّة لك شيئاً من خارق العادة ودلائل القدرة على إحياء الموتى وإن تفرّقت أوصالهم)) (93) . فالأداة { كَمْ } هنا موضوعة للاستفهام ، ويطلب بها تعيين عدد مبهم ، وتكون مفعولاً به في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بـ (لبثت) وتمييزه محذوف ، والتقدير كم عاماً لبثت ؟

د – التمني : ((هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى ، ولا يُتوقع حصوله)) (94) . وللتمني أربع أدوات ، واحدة أصلية ، وهي : ليت ، وثلاث غير أصلية نائبة عنها ، ويُتمنى بها لغرض بلاغي ، وهي : هل ، ولو ، ولعل (95) .

والملاحظ في تفسير السور التي فسّرها البلاغيّ وهي (الفاتحة والبقرة وآل عمران حتى الآية (57) من سورة النساء) لم توجد فيها الأداة (ليت) أو (ليتني) ، وإنما توجد في

سور أخرى ، لذا تعذر علينا ذكر شاهد قرآني على استعمال هذه الأداة للتمني في تفسير البلاغيّ ، وكذا الحال في الأداتين غير الأصليتين (هل ، ولعلّ) . أما الأداة (لو) فهو حرف شرط غير جازم يدل على امتناع وقوع شيئين ، لأنّه حرف امتناع لامتناع ، وسبب العدول عن (ليت) إلى (لو) هو إبراز استحالة وقوع المتمني وندرته ، وهذا ما نجده واضحاً عند تفسيره الجملة : { وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً } من قوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } (96) . إذ قال : ((... لو للتمني ، والتقدير : لو يمكن أنّ لنا كرّة كما تقدمت الإشارة إليه في الآية السادسة والتسعين (*) ...)) (97) .

وعند تفسيره المقطع { ... لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } من قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (98) . قال : ((... ولو هنا بمعنى التمني جرياً على ما يستعمله الناس في المحاورات في مثل المقام ، والله يجل ويتقدس عن حقيقة التمني)) (99) .

هـ – الترجي : وهو طلب الشيء المحبوب الذي يرجى ويتوقع حصوله ، ولا يكون إلا في الممكنات (100) ، ويعبّر عنه بـ (عسى) و (لعلّ) ، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : { ... قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ... } (101) . أشار البلاغيّ إلى الأداة (عسى) الواردة فيه بمعنى (الترجي) قوله : (((قال) لهم نبيهم { هَلْ عَسَيْتُمْ } عسى معناها الترجي في المحبوب ، والإشفاق في المكروه (102) . أمّا الأداة (لعل) فإنّها لم توجد في السور التي فسّرها البلاغيّ في تفسيره ، كما ألمحنا إلى ذلك .

2 – الإنشاء غير الطلبي : ((وهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب (103) . ويكون بصيغ المدح ، والذم ، والقسم وغيرها ، فمثلاً عند تفسيره الجملة : { ... وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ ... } من قوله تعالى : { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ ... وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ... } (104) . قال : (({ ... وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ ... } الفقر ونحوه { وَالضَّرَّاءِ } المرض ونحوه { وَحِينَ الْبَأْسِ } الحرب وشدتها ، ونصب الصابرين على المدح لما في صبر هؤلاء الصابرين من الفضيلة الكبرى ، إذ عليه يبتني الثبات على الدين والطاعة لله وشكر نعمه والشدة والإقدام في نصرة الحق ، والسلامة من الضلال والارتداد ...)) (105) .

وفي تفسير قوله تعالى : { إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ... } (106) . قال البلاغيّ : (({ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ } التي يراد بها وجه الله من الواجبة والمندوبة { فَنِعِمَّا هِيَ } أي فإنّ الصدقة نِعْمَ شيئاً هي في ذاتها ، ولا يذهب الإبداء لها بفضلها إذا لم يفرض عليها بسببه شيء من الرياء ، أو إذلال المتصدق عليه ...)) (107) .

وفي تفسير المقطع { نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } من الآية المباركة { أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } (108) . قال البلاغيّ : ((والمخصوص بالمدح في (نعم) هي المغفرة والجنات المذكورة ، باعتبار أنّ ذكر الله واستغفاره عمل صالح " جلت آلاء الله وألطافه ")) (109) .

أمّا أسلوب الذم فقد أشار إليه البلاغيّ عند تفسيره الآية الكريمة { بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... } (110) . قال : ((... فبئس ما فعلوا وبئس الذي اشتروا به أنفسهم ، أو بئس شيئاً اشتروا به { أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ } أي كفرهم بما أنزل الله وهو المخصوص بالذم ، مثل (عمرو) في قولهم : بئس الرجل عمرو ، وتزداد شناعة كفرهم بما أنزل الله مع معرفتهم بأنّه كلام الله المنزل الذي وعدوا به ، بأنّ كفرهم هذا كان حسداً ...)) (111) .

وفي تفسير قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (112) . قال البلاغيّ : ((... إذن { قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ } وأين منكم الإيمان ؟ ولكن قيل : { إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } للمجاراة في خطابهم ، والتنازل من النفي إلى صورة التشكيك ، وهذا من بديع الأساليب في التقريع والتوبيخ)) (113) .

أمّا أسلوب القسم فقد أشار إليه في تفسير قوله تعالى : { ... وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ... } (114) . قال البلاغيّ : ((... { وَلَقَدْ عَلِمُوا } اللام للقسم والجملة التي بعدها جوابه { لَمَنِ اشْتَرَاهُ } اللام للابتداء (ومن) مبتدأ ، والضمير يعود إلى : السحر وما تتلوه الشياطين ...)) (115) .

أمّا الصيغ الأخرى التي تنضوي تحت الإنشاء غير الطلبي ، كصيغ العقود والتعجب والرجاء ، ويكون بـ (ربّ ولعلّ وكم الخبرية) لم نجد له شاهداً في السور التي فسّرها البلاغيّ في كتابه (آلاء الرحمن) ، ولذا أعرضنا عنها . وكذا الحال في موضوع التقديم

والتأخير والوصل والفصل وغيرها .

ثالثاً : الحذف :

يتميز النص الأدبي عن غيره بكونه (ينتقي) أو (يذكر) من الكلام ما هو ضروري و (يحذف) ما لا ضرورة له ، لذلك تعدّ معرفة ما ينبغي أن (يُذكر) من الكلام وما (يحذف) منه واحداً من المعايير للبلاغة الفائقة ، سرّ ذلك أن (ذِكْرَ) ما لا ضرورة له يعد (فضولاً) ، وكذلك يعدّ (حذف) ما له ضرورة (مخلاً) بالكلام ، ولا يحقق الهدف المطلوب من التعبير (116) . وقد أشار عبدالقاهر الجرجاني (ت 471 هـ) إلى الحذف قائلاً : ((وهو باب دقيق المسلك ، عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تبن)) (117) .

وقد بيّن البلاغيّ : أنّ الحذف لما يدل عليه المقام ويرشد إليه الكلام إلى حذفه باب من أبواب البلاغة عند العرب وهو في نثرهم وشعرهم كثير ، وقد ضرب بعض الأمثلة الشعرية للحذف وأغراضه السامية ، ليحيل عليه في الأشهاد لما يأتي من فرائد القرآن الكريم في وجوه البلاغة وبراعة البيان (118) . فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ } (119) . فبعد أن بيّن البلاغيّ تفسير هذه الآية بالتفصيل (120) أشار إلى أنّ القرآن الكريم نهج في بيان حال هؤلاء المنافقين وما آل إليه أمرهم السيئ بسوء اختيارهم بأوجز بيان من دون الدخول في التفصيلات ، فقال : ((وقد سلك القرآن الكريم أحسن منهاج البلاغة في بيان مثلهم ونتيجتهم السيئة ، فذكر مجرى المثل ومغزاه ، واكتفى بذكر نتيجته السيئة لحال الذي ضرب المثل في شأنهم ، فناول السامع تتمة المثل ونتيجة حال المنافقين بأوجز بيان مفهم ، كما اكتفى بمقدمات المثل عن ذكر المنافقين في استيقادهم لنار الهدى وإضاءتها لما حولهم كما ذكرنا ، وربما تصوره جودة الفهم أحسن مما ذكرناه . ولو بسط القرآن الكلام كما شرحناه للزم التطويل ، ولو أهمل ما ذكره لحال المنافقين لما تمثلت من ضرب المثل فائدة لها قيمة ، بل لو ذكر قبلها نتيجة المستوقد المذكور لأنس الذهن بها ، ولم يَرُعْه ما ذكر من نتيجة المنافقين السيئة المهولة ، وذلك خلاف المقصود وحسن البيان)) (121) .

وفي تفسير الجملة{ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ } من قوله تعالى : { أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ

فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ ... } (122) . قال : ((... عطف بـ (أو) لأجل التنبيه بالترديد بين المثلين اختلاف مجراهما ومغزاهما ، فكأنه قيل : إن شئت ضرب المثل لحال المنافقين مع الإسلام وهداه بالذي استوقد ناراً إلى آخره ، وإن شئت ضرب المثل لشأن الإسلام مع المنافقين فإن مثله كمثل صيّب من السماء ، وحذف لفظ المثل لدلالة ما سبق وسياق الكلام عليه)) (123) . إذ حُذِف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

وأحياناً يشير البلاغيّ في موضع آخر من تفسيره إلى أن حذف جواب (لو) لدلالة المقام عليه اختصاراً ، وليقدّر بكل نحو يناسب المقام ، ويستشهد على ذلك بقول امرئ القيس (124) .

وعند تفسيره لقوله تعالى : { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ... } (125) . قال : (({ وَقَالُوا } أي أهل الكتاب المذكورون فيما قبل { لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا } . أي يهودياً، قالت اليهود ذلك ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ، وأوجز الكلام بأحسن إيجاز بقوله تعالى : { أَوْ نَصَارَى } ، ومغزى كلام كلّ منهم أنّ المسلمين لا يدخلون الجنة)) (126) .

فهذا التعبير الموجز قد أغنى عن الخوض الطويل في دعوى كلّ فريق منهم الكاذبة أنّهم يدخلون الجنة ، وبيان الأدلة التفصيلية في ذلك . فالحذف من الإيجاز والاختصار ، بل هو نهايتهما فيما يبدو .

وفي تفسير قوله تعالى : { ... فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ... } (127) . قال البلاغيّ : ((أي أنّ الحج بطبيعته ومصلحة تشريعه يأبى هذه الأمور ، وتقدير الكلام : (فمن فرض فيهم الحج فلا يأتي في حجه برفث ولا فسوق ولا جدال ، لأنّه لا رفث ولا فسوق) إلى آخره ، فحذف جواب الشرط لدلالة هذه الجملة المذكورة عليه دلالة يكون ذكره معها من فضول الكلام ...)) (128) .

وفي تفسير المقطع { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ } من قوله تعالى : { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ... } (129) . قال البلاغيّ : (({ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ } حتى تتبع ملتهم وحذف ذلك لدلالة قوله تعالى : { وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } إني اتبع الهدى ، وأين منه أهواؤكم وتقليدكم فيها ...)) (130) .

وفي تفسير قوله تعالى : { ... فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } (131) . بعد أن ذكر قول الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) والطبرسي (ت 548 هـ) والزمخشري (ت 538 هـ) والفخر الرازي (ت 606 هـ) بأنّ جواب (أما) محذوف تقديره : ((فيقال لهم أكفرتم)) (132) . أعطى رأيه في تقدير الجواب المحذوف ، إذ قال : ((أقول : ويقرب عندي أن يكون الجواب من نحو (فهم في عذاب أليم ، ونقمة من غضب الله) كما يدلّ عليه قوله تعالى : { ... فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (133) .

ومن نحو هذا الحذف في القرآن الكريم كثير ، وفائدته التهويل بالجواب ، ليقدرها السامع بكلّ نحو يشعر به المقام من الهول ، وهو باب واسع في البلاغة ...)) (134) .

المبحث الثاني : الصورة الفنية

لقد وقف البلاغيّ عند تفسيره الآيات الكريمة على صور بلاغية متنوعة منها :

أوّلاً : المجاز :

المجاز لغة واصطلاحاً : يؤكد عبدالقاهر الجرجاني (ت 471 هـ) العلاقة بين اللغة والاصطلاح في اشتقاق المجاز ، وعنده أن (المجاز مفصل من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه ، وإذا أعدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللغة وصف بأنّه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً)) (135) .

وقد عرفه السيد أحمد الهاشمي بقوله : ((هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي)) (136) .

ويبدو لنا من خلال هذين التعريفين أن المعنى الاصطلاحي متحدّر عن الأصل اللغوي ، وهو الاجتياز والتخطي من موضع إلى آخر ، وهذا يكشف عن وجود علاقة بين استعمال المجاز لغة واستعماله اصطلاحاً ، فكما يجتاز الكلمة موقعها أو اللفظ محله ، من معنى إلى معنى مع إرادة المعنى الجديد ، لأنها استعملت في غير ما هي موضوعة له . ومن خلال التتبع في تفسير آلاء الرحمن لاحظنا أنّ البلاغيّ قد تعرّض إلى المجاز وأنواعه في غير موضع من تفسيره ، ولبيان ذلك نعرض بعض الأمثلة ، ففي تفسير قوله تعالى : { ... وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ... } (137) .

قال البلاغيّ : ((ليس المراد هو النهي عن خصوص الأكل بمعناه الحقيقي ، بل الأكل

هنا مجاز بمعنى الأخذ والغصب ، وضمّ الغاصب لها إلى أمواله ، وأشير إلى ذلك بقوله : { إِلَى أَمْوَالِكُمْ } ليفهم من الأكل ما يناسب كلمة (إلى) جرياً على الغالب من كون المتسلطين على أموال اليتامى ذوي أموال وإن كانت عند بعضهم قليلة ...)) (138) . وهذا النوع من المجاز يسمّى عند البلاغيين بالمجاز المرسل ، علاقته السببية فقد عبر عن أخذ أموال اليتامى بقوله : { لا تَأْكُلُوا } من باب إطلاق اسم المسبب على السبب ، لأن الأخذ سبب الأكل .

وفي تفسيره لقوله تعالى : { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (139) . قال : ((أي جهة العلو والتعبير بالاستواء مجاز ، باعتبار توجّه إرادته وحكمته إلى خلق السماوات في العلو بعد أن خلق الأرض فقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام { فَسَوَّاهُنَّ } . وفسّر إبهام الضمير بقوله تعالى : { ... سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } كما يظهر من المخلوقات دلائل عمله وخلقه بالإرادة على مقتضى حكمته)) (140) .

وهذا النوع من المجاز يسمّى بالمجاز العقلي ، وهذا ما تقتضيه ضرورة أن الله تعالى ليس قالباً حسياً ، ولا مثالياً مرئياً ، ولا جسماً متحركاً يعرض للتنقل كأجسامنا ، فاستواؤه هنا سيطرته وإحاطته المطلقة حتى لا يفوته شيء ، كما يستولي صاحب الملك على أطراف مملكته .

وينصّ البلاغيّ في تفسيره ((أنّ جماعة وقفوا عن الوصول في بعض ما في القرآن الكريم من فرائد البلاغة حتى صار يلوح من ترددهم أنّ ذلك مخالف لقواعد اللغة العربية ، فاغتنم أعداء القرآن من ذلك فرصة الاعتراض)) (141) ، وأخذوا يفسرون بعض الآيات على حقيقتها (ظواهرها) ، مثل قوله تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } (142) . و { عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } (143) . و { ... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ... } (144) . ونحو ذلك ، فنسبوا إلى الذات المقدسة صفات الأجسام ، وقالوا بالتجسيم والتشبيه من دون الالتفاف إلى مرامي القرآن من المجازات والتشبيهات والاستعارات أو وجوهها الواضحة التي تصرفهم عن المعاني الحقيقية لهذه الألفاظ إلى معانٍ تليق بذاته المقدسة ، وتتناسب مع عدله وحكمته .

ومن هؤلاء الذين أشار إليهم الشيخ البلاغيّ في تفسيره هم الظاهرية وابن تيمية (ت 728 هـ) ومحمد بن عبدالوهاب (ت 1436 هـ) وغيرهم . وقد ردّ عليهم وسفّه أحلامهم

، وفنّد عقائدهم في ضوء معالجته العلمية لباب المجاز في اللغة (145) .

ومن هذه الآيات التي أشار إليها كأمثلة في تفسيره وعالجها عن طريق حمل اللفظ على المجاز دون الحقيقة هي قوله تعالى : { وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ } (146) . وقوله : { ... وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ } (147) . إذ قال : ((... فإن التعبير في ذلك بالإضلال مجاز فائق في الحسن يمثل ببراعته حاجة الإنسان مع نفسه الأمّارة إلى لطف الله به وعنايته في توفيقه . ويشير إلى ما في اللطف والتوفيق من الأثر الشريف الكبير في النعمة على الإنسان ، وينبّه إلى أنّ خذلان الله للإنسان المتمرد يرفع العناية في التوفيق ، وإيكاله إلى نفسه شبيه بإضلاله في قوة الأثر)) (148) .

وفي تفسير لفظة { أَزْوَاجَهُنَّ } من الآية المباركة { وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ... } (149) . قال البلاغيّ : ((... ولفظ { أَزْوَاجَهُنَّ } مجاز ...)) (150) .

ويبدو لنا أن هذا مجاز مرسل علاقته تسمية الشيء باسم ما كان عليه ، أي الذين كانوا أزواجهن .

ثانياً : التشبيه :

التشبيه لغة : الشِبْه والشبه والشبيه : المثل ، والجمع أشباه ، وأشبه الشيء الشيء : ماثله ، وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبه عليّ وتشابه الشيئان واشتبها : أشبه كلّ واحد صاحبه ، وشبهه إياه وشبهه به مثّله والتشبيه : التمثيل (151) .

التشبيه اصطلاحاً : ذكر البلاغيون له أكثر من تعريف ، وهذه التعريفات وإن اختلفت لفظاً فإنّها متفقة معنى . ولذا نكتفي بعرض تعريفين :

أحدهما : لابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) ، إذ قال : ((ويغلب أن يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمهما ويوصفان بها ، وافتراق في أشياء ينفرد كلّ منهما بصفتها)) (152) .

وثانيهما : للسيد أحمد الهاشمي الذي عرّفه بأنّه : ((عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر ، قُصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة ، لغرض يقصده المتكلم)) (153) .

تعرض البلاغيّ إلى الصور التشبيهية وأقسامها في مواضع مختلفة من تفسيره ، وفي تفسير الآية المباركة { مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } (154) . قال البلاغيّ : (({ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } وتضييعهم له فيها بكفرهم ، وإن قصدوا وجهاً يزعمون أنّه وجه الله ، ولكنّه ليس بوجه الله الذي كفروا بآياته وأشركوا به ووصفوه بما يجلّ عنه من الصفات { كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ } هذا من التشبيه المركب ، ليتبين منه حال كفرهم مع إنفاقهم في إحباطه بما جنوه على أنفسهم ، ولهذا صدّر المثل ببيان المتلِف للحرث ، ليروّع الكافرين بعنوانه في صدر المثل)) (155) .

فالمشبّه في هذه الآية المباركة هو (إنفاق الكافرين) ، وهو مفرد ، أمّا المشبّه به فهو مركب تتجسد هيئته من الريح التي فيها برد شديد أصابت زرع قوم ظلموا أنفسهم بزرعه في غير أوانه بحسب الفصول ، أو في غير بلاد زرعه من الأرض ، فالله تعالى لم يظلمهم بإحباط عملهم وكفرهم هذا ، وإنما ظلموا أنفسهم باختيار الكفر الملقى لهم في هلكة العذاب ، وخشية الوبال ، وإحباط العمل ، وهذا النوع من التشبيه يعرف بتشبيه (المفرد بالمركب) .

ويشير البلاغيّ في موضع آخر من تفسيره إلى نوع آخر من التشبيه ، وهو تشبيه المركب بالمركب (156) . وهو ما كان طرفاه مركبين من أمور عدة مجتمعة متداخلة فيما بينها ، ونلحظ ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ } (157) .

وفي تفسير قوله تعالى : { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ } (158) . قال البلاغيّ : (({ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا } في أقوالهم هذه التي لا يتفكرون في فساد معانيها ، ولا يعرفون غلطها وما يقولونه فيها { كَمَثَلِ) الأصم { الَّذِي يَنْعِقُ } كنعاق الراعي في غنمه { بِمَا لا يَسْمَعُ } ولا يميز من مداليل نعاقه معنى معقولاً { إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً } وصوتاً بلا معنى ، وإنهم في ذلك { صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ } كيف ينطقون)) (159) .

فالمشبّه في هذه الآية هو (الكافرون بأعيانهم) ، والمشبّه به (الناعق بذاته) ، وكلاهما حسيان . وهذا النوع من التشبيه عند البلاغيين يسمّى تشبيه المركب بالمفرد . أمّا لماذا

أضاف المثل إلى الذين كفروا ثمّ يشبّهه بالراعي ولم يقل كالغنم ؟ الجواب : لأن المعنى ، ومثل الذين كفروا فيما يوعظون به كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت ، فالتقدير : ومثل وعظ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع والعرب تحذف إذا دلّ المعنى على ما يريدون ، كما قال تعالى : { ... وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ... } (160) . أي سقوا حبّ العجل فأضمر الحب ، لأن المعنى معلوم (161) .

وفي تفسيره لقوله تعالى : { ... فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ... } (162) قال : (({ فَمَثَلُهُ } أي مثل المرائي المنافق الذي لا يؤمن بالله ، في أنّه لا خير فيه ، ولا في إنفاقه { كَمَثَلِ صَفْوَانٍ } الصفوان كالصفا هو الصخر الأملس (عَلَيْهِ تُرَابٌ } يخيل أنه أرض نافعة صالحة للنبات { فَأَصَابَهُ وَابِلٌ } أي مطر عظيم القطر شديد الوقع فجرف ذلك التراب عن ذلك الصفوان { فَتَرَكَهُ } صفواناً مجرداً { صَلْدًا } أي صلباً أملس لا يصلح لنتيجة)) (163) .

فالمشبّه في هذه الآية (المنفق رياءً) ، والمشبّه به (الحجر الصلد) وهما حسّيان ، وهذا نوع آخر من التشبيه عند البلاغيين ، يسمى تشبيه المفرد بالمفرد ، ولكن طرفاه هنا مقيدان لا مطلقان ، فإنّ المشبّه هو (المنفق رياء) لا مطلقاً ، بل مقيداً بكون إنفاقه كذلك ، والمشبه به هو (الحجر الصلد) لا مطلقاً ، بل مقيداً بكون الحجر صلداً صلباً أملس لا يصلح لنتيجة كما أشار البلاغيّ إلى ذلك .

وفي تفسيره المقطع { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ } من الآية المباركة { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } (164) ذكر البلاغيّ أنّ ((الحرث في الأصل : الكراب ، ومصدر حرث الأرض أي كربها ، ثمّ استعمل في الأرض التي تحرث كما في هذه الآية ، ثمّ استعمل في نبات الأرض المسبب عن الحرث كما في قوله تعالى : { ... يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ... } (165) . وفي الآية شبّه تمتع الرجل بزوجته بحرث الأرض والزوجة بالأرض التي تحرث فسميت حرثاً ، أي محل تمتع لكم ، كما أن الأرض محل حفر وحرث ، وليس المراد أن إتيان المرأة لا يحل إلا حيث يكون إتيانها زرعاً للغسل ، حتى لو قلنا : إنّ معنى { أَنَّى شِئْتُمْ } هو أي وقت شئتم ...)) (166) . فالمشبّه في هذه الآية (تمتع الزوجين فيما بينهما) وهو أمر عقلي ، والمشبّه به (حرث الأرض) وهو محسوس .

وكذا عند تفسيره الجملة : { قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا } من الآية الكريمة { وَلَمَّا بَرَزُوا

لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (167) . قال : ((... الإفراغ : الصبّ ، شبّهوا الصبر بالماء الذي يعمهم بصبّه عليهم ، فطلبوا من الله التوفيق للصبر الكثير المجدي ، بحيث يكون كما يصب عليهم الصبر صباً ...)) (168) .

فالمشبه في هذه الآية (الصبر) وهو أمر عقلي ، والمشبه به (الماء) وهو محسوس ، ومن الدقة القرآنية في استعمال الألفاظ المستعارة أنه استعمل (إفراغ) وهي توحي باللين والرفق عند حديثه عن الصبر .

وفي تفسير الآية الكريمة : { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (169) . يشير البلاغيّ إلى التشبيه التمثيلي ، وهو نوع آخر من التشبيه عند البلاغيين ، وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد (170) ، إذ قال : (({ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } أي أنّ المثل الذي يضرب لهؤلاء في جزائهم المضاعف من الله ، ونتيجة إنفاقهم المباركة هو { كَمَثَلِ حَبَّةٍ } أي كالمثل الذي يضرب بحبة { أَنْبَتَتْ } من إسناد الفعل إلى بعض أسبابه { سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ } ، وليس ذلك فرضاً موهوماً كأنياب الأغوال ، بل هو كثير ما يشاهد أن الحبة يخرج منها أكثر من سبع سنابل ، بل وعشر وعشرين ، وكثيراً ما شوهد في قطرنا في السنبل القوي الجيد من الحنطة والشعير تبلغ الثمانين حبة)) (171) .

ومن خلال هذا النص نلمس مدى تأثير التشبيه الحسي في النفس ، إذ نجد أنّ المال عصب الحياة الاجتماعية ، لهذا يفرض وجوده بقوة فيها ((ويمثل دوره في القيم الإنسانية ، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان ، والمثل القرآني يدرك هذا المناخ إدراكاً جيداً ، فحرك النفس الجموح على إنفاقه في سبيل الله ، ووعد المتقين وعداً حسناً على ذلك بسخاء ، بل وضاعف لهم الأجر في صورة اعتمد فيها التشبيه صيغة تهيئ المناخ النفسي للبر بتفاعلها مع الجو الداخلي عند الإنسان ، حيث يجد إنفاقه مضاعفاً بإمداد غير مترقب ، مما يدفعه نفسياً إلى الإنفاق بيد مبسوطة)) (172) .

ثالثاً : الاستعارة :

الاستعارة لغة : مصدر مأخوذ من الفعل (استعار) ، يستعير ، استعِرْ استعارة ، فهو مستعير ، والمفعول مستعار ، استعار الشيء : طلب أن يعطيه إياه عارية (173) .

الاستعارة اصطلاحاً : ((هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي)) (174) .

أشار البلاغيّ إلى الصور الاستعارية في القرآن الكريم ، وبيّن روعتها وحسن جمالها في مواضع عدة من تفسيره ، ففي تفسير قوله تعالى : { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } (175) . قال (({ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } مرض النفاق والتلوّن ، واستعير اسم المرض هنا ، لأنّ فيه خروجاً عن الصحّة العادية ، والنفاق خروج عن الاستقامة الفطرية للبشر وجرْيهم على ما توضّحه الدلائل النيرة ، ولأجل تمردهم في نفاقهم خرجوا عن أهلية التوفيق للاستقامة ، فأعرض الله بوجهه الكريم عنهم ، وحرمهم الله بركات لطفه { فَزَادَهُمُ اللَّهُ } بحرمانهم التوفيق (مَرَضًا } على وتيرة من تمرّد بالطغيان فوكله الله إلى نفسه المنهمكة بالقبح منذ أسْلست قيادها للهوى والشيطان ...)) (176) .

في هذه الآية المباركة شبه الكفر بالمرض ، وحذف المشبّه (المستعار له) (الكفر) وصرّح بالمشبّه به (المستعار منه) (المرض) ، فالاستعارة هنا (تصريحية) ، لأنّ اللفظ الدال على المشبّه به مصرّح به ، والمراد به هو المشبه . وسرّ جمال الصورة التوضيح والتجسيم .

وفي تفسيره لقوله تعالى : { الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ... } (177) . قال : ((... نقض البناء : هدمه ونقض الحبل : حل فتله ، فهو ضدّ إبرامه . والعهد يستعمل في الوصية نحو قوله تعالى : { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ ... } (178) ، وفي الوعد المقرون بإظهار الالتزام ... والميثاق مصدر من الوثوق ، مثل الميعاد من الوعد . والميلاد من الولادة ، أي ينقضون وصية الله لهم أو ما أعطوه لله من العهد مع توثيقه بالمؤكدات ، وشبّه عهد الله في توثيقه وربطه ما بين العبد وربه بالحبل وإبرامه ، واستعير لمخالفته لفظ النقض ...)) (179) .

شبّه عهد الله بالحبل المنعقد فحذف الحبل المشبّه به (المستعار منه) ، ودلّ عليه بأحد

لوازمه بقوله : { يَنْقُضُونَ } العقد الذي عقدوه مع الله ، وهذا النوع من الاستعارة يسمّى عند البلاغيين بالاستعارة (المطلقة) لكونها لم تقترن بما يلائم المشبّه (المستعار له) ، والمشبه به (المستعار منه) (180) . فضلاً عن ذلك فقد استعير النقض ، وهو حسي إلى عدم الوفاء بالعهود وهو عقلي ((فنبّه بالنقض الذي هو من توابع الحبل وروافده على أنه استعار للعهد الحبل لما فيه من باب الوصلة بين المتعاهدين)) (181) .

وفي تفسير قوله تعالى : { ... وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ } (182) . قال البلاغيّ : ((... { وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي } مع وضوح الحجة عليكم { ثَمَنًا قَلِيلاً } الثمن يشتريه الإنسان في معاملته ، كما أنّ الآخر يشتري السلعة ، واستُعير لاستبدالهم آيات الله بأهوائهم لفظ الشراء ، لما فيه من استبدال شيء بشيء ، والثمن القليل بالحقير : هو خوفهم من أكابرهم أو حرصهم على جامعتهم الإسرائيلية أو حسدهم للرسول (ص) ، وغير ذلك من أباطيل الأهواء ...)) (183) .

رابعاً : الكناية والتعريض :

الكناية لغة : مصدر (كنيت) كذا عن كذا ، إذا تركت التصريح به (184) .

الكناية اصطلاحاً : هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى ، إذ لا قرينة تمنع هذه الإرادة (185) .

تحدث البلاغيّ عن صورة أخرى من صور البيان القرآني ، وهي الكناية بأنواعها في مواضع مختلفة من تفسيره ، ففي تفسير الآية المباركة : { ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (186) . يشير البلاغيّ فيها إلى كنايتين :

الأولى : في جملة { ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ } فقال : ((التولّي بمعنى الاستدبار ، واستعمل هنا كناية عن الإعراض عما أخذ عليهم من الميثاق { مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ } الأخذ بالميثاق)) (187) . وهذا النوع من الكناية عند البلاغيين يسمّى كناية عن (صفة) ، وهي الإعراض عن الميثاق .

أمّا الكناية الثانية : فهي في الجملة الأخرى من الآية نفسها ، إذ قال : (({ ... فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ... } بقبول التوبة { ... لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الذين ذهب رأس مالهم ، كنّى بالخسران عن هلكتهم بالضلال)) (188) . وهي كناية عن صفة (الخسران) أيضاً .

وفي المقطع الأول { أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ } من قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا } (189) . قال البلاغيّ : ((... الغائط الموضع المنخفض أو المطمئن من الأرض ، وأهل البادية والقرى الصغيرة يقصدونه عند قضاء في التخلي للتستر وهو كناية متعارفة في قضاء الحاجة بما يخرج من السبيلين من العذرة والبول ...)) (190) . فقد ذكر البلاغيّ المعنى اللغوي لمفردة (الغائط) وما آل إليه من معنى مجازي للكناية عن قضاء الحاجة .

ثمّ أشار البلاغيّ إلى الأسلوب الأمثل من أساليب البيان القرآني الذي ينبغي للإنسان أن يعلمه تجنباً أو ابتعاداً عن الألفاظ النابية التي يرفضها الشرع ، ولا يقرها العقل ، فقال : ((ولأجل المبالغة في حشمة الخطاب ونزاهته كما هو المعهود من كرامة القرآن في أسلوبه لم يقل عن نهج سائر الجمل (أو جئتم من الغائط) بل قال : { أَحَدٌ مِنْكُمْ } على صورة التنكير والإبهام حفظاً للحشمة)) (191) .

وكذا الحال في تفسير المقطع الثاني من الآية المتقدمة نفسها { ... أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ... } قال : ((... والمراد منه الجماع كقوله تعالى : { بَاشِرُهُنَّ } (192) ، { وَلا تَقْرَبُوْهُنَّ } (193) ، {تَمَسُّوهُنَّ} (194) ، { يَتَمَاسَّا } (195) ، وقول مريم : { يَمْسَسْنِي } (196) ، مع أنّ الملامسة أقرب إلى الكناية من المس ، لأنّها مفاعلة من اللمس الذي هو مسّ بقصد الإحساس ، فالملامسة تمثل الحالة الجماعية بين الرجل والمرأة في قصدهما التلذذ بالإحساس في مباشرتهما)) (197) .

ويشير البلاغيّ أيضاً إلى أسلوب بلاغي آخر جرى عليه العرب في استعمالاتهم ، لأنّه أبلغ من التصريح ، وهو أسلوب التعريض الذي عرّفه السيد أحمد الهاشمي بقوله : ((هو أن يطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق)) (198) . ولبيان ذلك نقدّم بعض الأمثلة ، ففي تفسيره الجملة { وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } من قوله تعالى : { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (199) . قال : ((... { وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ولعله تعريض باليهود والنصارى { تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (200))) (201) . تعريض بأهل الكتاب ، لأنّه كلّ منهم يدعي اتباع ملة إبراهيم (ع) وهم مع ذلك على الشرك .

ومثله عند تفسيره المقطع { وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ } من قوله تعالى : { قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ } (202) . قال : ((... { وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ } في عبادته وإلهيته لا نشرك به شيئاً ، وفي ذلك حسن التعريض بهم { تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (203))) (204) .

وكذا الحال عند تفسيره لقوله تعالى : { ... وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ... } (205) . قال البلاغيّ : (({ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا } ذكر الشرط لبيان هذا النحو من العهد ، وهو الذي يصدر منهم وجيء بصيغة الجمع للإشارة إلى العهود التي تقع بين الجماعات من الناس ، وللتعريض بغدر بني النضير وقريضة وأمثالهم ممن لم يرع في العهد إلاً ولا ذمة)) (206) .

فقد لاحظ البلاغيّ عدول النص من المفرد إلى الجمع ، وبيّن أنّ دلالة هذا العدول هو للتعريض بغدر بني النظير وقريضة وغيرهم .

المبحث الثالث : فنون بديعية

لا تقل أهمية الفنون البديعية في البلاغة العربية ، ولا ينكر دورها المهم في بناء الأسلوب الفني للأدب العربي ، عن الأساليب البلاغية والصورة الفنية ، وهي ((الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة ، وتكسوه بهاءً ورونقاً ، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته لفظاً ومعنى)) (207) . وهي على قسمين : قسم يرجع إلى المعنى ، ويسمى بالمحسّنات المعنوية ، وقسم يرجع إلى اللفظ ، ويسمى بالمحسّنات اللفظية . ومن هذه المحسّنات التي أشار إليها البلاغيّ عند تفسيره لبعض الآيات هي :

أوّلاً : الالتفات :

الالتفات لغة : هو صرف الشيء عن جهته إلى أخرى ، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالجهات أم فيما يتعلق بالأمور المعنوية ، كالآراء والأحاسيس وغيرها (208) .

الالتفات اصطلاحاً : ((هو العدول عن مساق إلى مساق آخر متمم للأوّل على وجه المثل وغيره)) (209) .

لقد وقف البلاغيّ عند تفسيره الآيات المباركة على صور أسلوب الالتفات ، في غير موضع من تفسيره ، ومن هذه الصور ، هي :

1 – الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، كقوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } (210) . قال البلاغيّ : ((... وهذا الأسلوب في الآية الكريمة من قسم الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، والالتفات في كلام العرب وشعرهم كثير وهم يعدونه من محاسن الكلام ومزاياه في البلاغة ، وهو متفاوت في الحسن ، ولكنه مهما بلغ فإنّه لا يكاد أن يبلغ ما بلغه هذا الالتفات من الحسن الباهر والجودة الفائقة وأعلى درجات البلاغة ، فإنه يمثل العبد شاخص البصر إلى جلال مولاه ومتوجّهاً إلى حضرته بالاعتراف بأنّه لا معبود سواه ولا مستعان إلا هو ، ومتضرعاً بخطاب العبودية والمسكنة ومناجاة الرهبة والرغبة ، خاضعاً لربوبيته ماداً إلى رحمته يد الانقطاع في المسألة والاستعانة)) (211) .

إنّ القرآن بعظمته وجلال قدره وما يحمله من الفصاحة والبلاغة يجعل العقول البشرية تقف حائرة أمام هذا الكتاب المقدّس ، إذ نجد في أمّ الكتاب وفي الآية بالخصوص نوعاً من أنواع الالتفات ، وهو الالتفات من الغيبة إلى الخطاب بحيث لم يقل : (إياك نعبد ونستعين) .

وإنّما قال : إيّاك نعبد ، والمراد منها حصر العبادة لله تعالى ، بمعنى له وحده أهليّة العبادة ، سواء أكان العبد في مورد العبادة أم لم يكن في مورد العبادة ، بل هي في صدد الأهليّة ، أمّا الاستعانة فتقتضي الحضور حال العبادة ، بخلاف الآية السابقة .

وفي تفسير لفظة { فَانْكِحُوهُنَّ } من قوله تعالى : { وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ } (212) . قال البلاغيّ : ((... { فَانْكِحُوهُنَّ } فيه التفات إلى خطاب المحتاج إلى نكاح الأمة بعد ذكره بالغيبة ، والأمر هنا للإباحة التي تعمّ المرجوح ...)) (213) .

فأشار البلاغيّ إلى أسلوب الالتفات من الغيبة { مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ } إلى الخطاب في قوله : { فَانْكِحُوهُنَّ } .

2 – الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، كقوله تعالى : { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (214) . قال البلاغيّ : (({ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ } ... أي يعرفون رسول الله على الصفات التي وصف بها في كتبهم ، والاسم الذي سمي به بنحو لا ينبغي الريب فيه ... وفي الآية التفات من الخطاب إلى الغيبة)) (215) .

الخطاب يتمثل في الشق الأول من الآية ، والغيبة تتمثل في الشق الثاني في جملة { وَهُمْ يَعْلَمُونَ } .

ومثله في تفسير جملة { أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ } من قوله تعالى : { الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (216) . قال البلاغيّ : ((... { أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ } فيما بين الأزواج لدواع خصوصية ، وعدل من الخطاب إلى الغيبة تكريماً وتبعيداً من الخطاب بما يراد هنا من عدم الإقامة لحدود الله ...)) (217) .

ومثله في تفسير قوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا } (218) . قال البلاغيّ – وهو في صدد الحديث عن الاستشفاع إلى الله في دعائه ، والتوسل إليه بالنبي (ص) والأئمة والأولياء في الحوائج – : ((قلنا يكفي في الدلالة على مشروعيته – يعني الاستشفاع – من الكتاب المجيد ما ذكرنا في الآية الرابعة والستين من سورة النساء ، في لومهم على عدم مجيئهم ليغتنموا شفاعة الرسول باستغفاره لهم ، وإنّ العدول والالتفات من خطاب الله لرسوله في الآية المشار إليها إلى قوله : { وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ } إنّما هو للإشارة إلى أنّ الحكمة في ذلك هو تمرينهم على الانقياد إلى الرسول ومقام الرسالة بالمجيء إلى حضرته والخضوع لكرامته ، بالاحتياج وطلب الاستغفار وشفاعته لهم ، كلّ ذلك لكي ينقادوا متوسقين إلى طاعته في أمور الدين والإيمان)) (219) .

ثانياً : التغليب :

التغليب هو : ((إعطاء الشيء حكم غيره ، وقيل : ترجيح أمر المعلومين على الآخر ، وإطلاق لفظهما عليهما ، وإجراء للمختلفين مجرى المتفقين)) (220) .

أشار البلاغيّ إلى هذا الأسلوب البلاغيّ بأشكاله المتعددة عند وقوفه في تفسير الآي مبيناً السبب في ورودها في القرآن الكريم ، فمثلاً في تفسير قوله تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ } (221) . قال البلاغيّ : (({ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } والكل سواء في أنهم مخلوقون لله ولله وملكه { كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ } ذكروا من معاني القنوت الخشوع والطاعة ، أي خاشعون أو مطيعون بالانقياد

لخالقيته وقدرته وإلهيّته ، فأين الولدية والإلهية من المخلوق ! وجاء قانتون بالجمع المذكر السالم تغليباً)) (222) .

ومثله في تفسير قوله تعالى : { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (223) . قال البلاغيّ : (({ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ } وأدرج إسماعيل في تفسير الآباء بنحو من التغليب عليه ، ولأنه عم ليعقوب ، والعم كالأب ...)) (224) .

ثالثاً : المقابلة :

المقابلة : ((وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها ، وهي من باب المفاعلة كالمقابلة والمضاربة ، وهي قريبة من الطباق)) (225) .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : { فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ } (226) . قال البلاغيّ : (({ فَاذْكُرُونِي } بما فيه سعادتكم وكمالكم من العبادة والطاعة والشكر لنعمي أُعِد عليكم بالجزاء واللطف والنعمة والمزيد ، ولأجل المقابلة اللفظية جرى التعبير على ذلك بقوله تعالى : { أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي } نعمائي عارفين بها { وَلَا تَكْفُرُونِ } لا تكفروني نعمتي ، ولا تجحدوني نعمتي ، كفّره حقّه : جحده)) (227) .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المتواضعة مع جهود البلاغيّ في دراسته البلاغيّة في تفسيره نودّ أن نقدّم في نهاية هذا البحث أهمّ النتائج التي توصلنا إليها :

1 – إنّ البلاغيّ لم يتعرّض للأساليب البلاغيّة ومعانيها الحقيقية والمجازية التي خرجت عن مقتضى ظاهرها ، وكذلك أبعاد العناصر الفنية للبيان العربي كالمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية ، فضلاً عن الفنون البديعية في موضوع خاصّ بها ، وإنّما أشار إليها ضمن سياقها العام عند تفسيره لبعض الآيات الكريمة ، لأنّه ينظر إلى مقام تفسير الآيات وبيان معانيها ، وليس في صدد بيان الوجوه والأغراض البلاغية ، فهو يعدّ البلاغة وسيلة من وسائله في التفسير ، وليست غاية في نفسها ، ولذا نجده في مواضع عدّة قد أهمل كثيراً من الآيات التي فيها جوانب بلاغية ، ولم يتعرّض لها ، في حين أنّها كانت من الشواهد التي استشهد

بها البلاغيّون ، وذكروها في كتبهم البلاغية .

2 – كشف البحث أنّ الألفاظ التي استعملها البلاغيّ في عرضه للصور الفنية في تفسيره كالمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض هي ألفاظ شبّه وشبّهوا وكنّى وكناية ومجاز، واستعير ونحوها ، من دون أن يذكر أنواعها إلا في موضع واحد فقط ، قال : ((هذا من التشبيه المركب)) . وحاولنا إبراز بعض أنواعها .

3 – يرى البلاغيّ في تفسيره أنّ المجاز باب من أبواب البلاغة الذي اتخذه طريقاً أو مسوّغاً في تسفيه أحلام أولئك الذين أخذوا يفسّرون بعض ألفاظ الآيات على معانيها الحقيقية ، ونسبوا إلى الله تعالى صفات الأجسام التي لا تليق بذاته المقدسة .

4 – كشف البحث أنّ الصورتين التشبيهية والاستعارية عند البلاغيّ تؤديان وظيفة إبراز المعنويات بقالب حسّي وتجسيد العقليات بإطار مدرك ، وذلك لتقريب الصورة إلى الأذهان أوّلاً ، وأن يكون لها وقع وتأثير في النفس ثانياً ، فجاءت الصورة حسّية دائبة بالحركة ، ومادية لا يتخطاها الإدراك .

الهوامش

* هو الشيخ محمّد جواد البلاغيّ الربعي ، ولد في النجف الأشرف سنة (1282 هـ) ، وأسرته من الأسر المعروفة والمشهورة في العلم والأدب والبلاغة ، تتلمذ على أيدي كبار المجتهدين وأفاضل العلماء ، تخصّ بالذكر منهم : الشيخ آغا رضا الحمداني (ت 1233 هـ) ، والشيخ محمّد حسن المامقاني (ت 1323 هـ) . أمّا تلاميذه فكانوا من أعيان الطائفة المشهورين الذين حضروا درسه ، أو رووا عنه ، نخصّ بالذكر منهم : الشيخ علي محمّد البروجردي (ت 1395 هـ) ، والسيد أبو القاسم الخوئي (ت 1413 هـ) ، وله مصنفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون ، كالفقه والأصول والعقائد والشعر والمراسلات وغيرها ، ثمّ شرع في تفسير القرآن الكريم ، غير أنّ القدر لم يمهله ، فعاجلته المنية قبل إتمامه ، سنة (1352 هـ) ، وتوقف يراعه الشريف عند الآية (57) من سورة النساء . ينظر : الذريعة ، الطهراني 4 / 466 ، أعيان الشيعة ، محسن العاملي 3 / 255 – 262 ، مقدمة آلاء الرحمن 1 / 9 – 21 .

[1] – مقدمة آلاء الرحمن / 9 – 21 .
[2] – ينظر : البلاغة تطور وتأريخ ، شوقي ضيف / 181 .
[3] – ينظر : المصدر نفسه / 182 .
[4] – جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي / 45 .
[5] – البقرة 2 / 24 .
[6] – آلاء الرحمن 1 / 162 .
[7] – مجمع البيان ، الطبرسي 1 / 128.
[8] – المحرر الوجيز ، ابن عطية 1 / 107 .
[9] – البقرة 2 / 285 .
[10] – آلاء الرحمن 1 / 464 .
[11] – البلاغة والتطبيق ، د . أحمد مطلوب ، ود . كامل حسن البصير / 106 .
[12] – الفاتحة 1 / 2 .
13 – آلاء الرحمن 1 / 123 .
[14] – م . ن 1 / 123 – 124 ، وقارنه مع علل الشرائع 1 / 360 .
[15] – م . ن 1 / 124 .
[16] – مفاتيح الغيب 1 / 225 .
[17] – روح المعاني 1 / 76 .
[18] – تفسير القرآن الكريم 1 / 781 .
[19] – البقرة 2 / 58 .
[20] – آلاء الرحمن 1 / 192 .
[21] – البقرة 2 / 83 .
[22] – آلاء الرحمن 1 / 208 .
[23] – البقرة 2 / 228 .
[24] – آلاء الرحمن 1 / 381 – 382 .
[25] – ينظر : إملاء ما منّ به الرحمن ، أبو البقاء العكبري 1 / 95 ، الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي 3 / 113 .

26 – الكشاف 1 / 365 .

27 – البقرة 2 / 234 .

28 – آلاء الرحمن 1 / 396 .

29 – البقرة 2 / 165 .

30 – آلاء الرحمن 1 / 277 .

31 – آل عمران 3 / 116 .

32 – آلاء الرحمن 2 / 137 .

33 – جواهر البلاغة / 63 .

34 – البلاغة والتطبيق / 120 .

35 – إرشاد الفحول ، الشوكاني / 93 ، مفتاح العلوم ، السكاكي / 152 .

36 – البقرة 2 / 196 .

37 – الكهف 18 / 30 .

38 – آلاء الرحمن 1 / 317 – 318 .

39 – البقرة 2 / 236 .

40 – آلاء الرحمن 1 / 400 .

41 – آل عمران 3 / 104 .

42 – آلاء الرحمن 2 / 123 .

43 – البقرة 2 / 259 .

44 – آلاء الرحمن 1 / 431 .

45 – البقرة 2 / 83 .

46 – آلاء الرحمن 1 / 208 . وينظر أيضاً : آلاء الرحمن 2 / 119 عند تفسيره الآية (102) من سورة آل عمران .

47 – البقرة 2 / 168 .

48 – آلاء الرحمن 1 / 280 . وينظر أيضاً : آلاء الرحمن 1 / 309 – 311 عند تفسيره الآية (282 من سورة البقرة ، آلاء الرحمن 1 / 376 عند تفسيره الآية (223) من سورة البقرة .

49 – البقرة 2 / 203 .

50 – آلاء الرحمن 1 / 344 .

51 – البقرة 2 / 282 .

52 – آلاء الرحمن 1 / 457 .

53 – البلاغة والتطبيق / 128 .

54 – البقرة 2 / 195 .

55 – آلاء الرحمن 1 / 316 .

56 – البقرة 2 / 208 .

57 – آلاء الرحمن 1 / 354 . وينظر أيضاً : آلاء الرحمن 2 / 240 عند تفسيره الآية (5) من سورة النساء .

58 – البقرة 2 / 282 .

59 – آلاء الرحمن 1 / 457 .

60 – آل عمران 2 / 8 .

61 – آلاء الرحمن 2 / 18 .

62 – البقرة 2 / 35 .

63 – آلاء الرحمن 1 / 177 .

64 – آلاء الرحمن 1 / 311 عند تفسيره الآية (187) من سورة البقرة .

65 – جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي 1 / 71 .

66 – ينظر : البلاغة والتطبيق / 131 – 132 .

67 – م . ن / 131 .

68 – البقرة 2 / 80 .

69 – آلاء الرحمن 1 / 207 . وينظر أيضاً : آلاء الرحمن 1 / 241 عند تفسيره الآية (124) من سورة البقرة ، آلاء الرحمن 2 / 160 عند تفسيره الآية (142) من سورة آل عمران ، آلاء الرحمن 2 / 458 عند تفسيره الآية (53) من سورة النساء .

70 – البقرة 2 / 260 .

71 – آلاء الرحمن 1 / 432 .

72 – الإنصاف فيما تضمنه من الكشاف ، ابن منير الإسكندري 1 / 391 .

73 – البقرة 2 / 100 .

74 – آلاء الرحمن 1 / 220 .

75 – آل عمران 3 / 154 .

76 – آلاء الرحمن 2 / 180 .

77 – البقرة 2 / 130 .

78 – آلاء الرحمن 1 / 250 .

79 – انظر : مجمع البيان 1 / 395 .

80 – النساء 3 / 41 .

81 – آلاء الرحمن 2 / 411 .

82 – البقرة 2 / 28 .

83 – آلاء الرحمن 1 / 167 .

84 – م . ن 1 / 430 .

85 – البقرة 2 / 259 .

86 – آلاء الرحمن 2 / 53 .

87 – آل عمران 3 / 37 . وينظر أيضاً : آلاء الرحمن 1 / 413 عند تفسيره الآية (247) من سورة البقرة ، آلاء الرحمن 2 / 60 عند تفسيره الآية (47) من سورة آل عمران .

88 – البقرة 2 / 223 .

89 – آل عمران 3 / 165 . (وأنّى) في الآية عند البلاغيّ بمعنى (من أين) . ينظر : آلاء الرحمن 2 / 189 .

90 – آل عمران 3 / 37 .

91 – آلاء الرحمن 1 / 376 .

92 – البقرة 2 / 259 .

93 – آلاء الرحمن 1 / 430 .

94 – جواهر البلاغة / 86 . وينظر : البلاغة والتطبيق / 139 .

95 – م . ن / 86 .

96 – البقرة 2 / 167 .

* ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ...)) . من سورة البقرة . ينظر : تفسيرها في آلاء الرحمن 1 / 217 – 218 .

97 – آلاء الرحمن 1 / 278 .

98 – البقرة 2 / 103 .

99 – آلاء الرحمن 1 / 223 .

100 – ينظر : جواهر البلاغة / 86 ، البلاغة والتطبيق / 139 .

101 – البقرة 2 / 246 .

102 – آلاء الرحمن 1 / 412 .

103 – جواهر البلاغة / 63 .

104 – البقرة 2 / 177 .

105 – آلاء الرحمن 1 / 287 .

106 – البقرة 2 / 271 .

107 – آلاء الرحمن 1 / 442 .

108 – آل عمران 3 / 136 .

109 – آلاء الرحمن 2 / 155 .

110 – البقرة 2 / 90 .

111 – آلاء الرحمن 1 / 214 .

112 – البقرة 2 / 93 .

113 – آلاء الرحمن 1 / 216 .

114 – البقرة 2 / 120 .

115 – آلاء الرحمن 1 / 123 .

116 – ينظر : البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي ، د . محمود البستاني / 60 .

117 – دلائل الإعجاز / 111 .

118 – ينظر : آلاء الرحمن / 169 – 171 .
119 – البقرة 2 / 17 .
120 – آلاء الرحمن 1 / 156 – 157 .
121 – م . ن 1 / 157 .
122 – البقرة 2 / 19 .
123 – آلاء الرحمن 1 / 158 .
124 – ينظر : م . ن 1 / 277 عند تفسيره الآية (165) من سورة البقرة .
125 – البقرة 2 / 111 .
126 – البقرة 2 / 197 .
127 – البقرة 2 / 197 .
128 – آلاء الرحمن 1 / 335 .
129 – البقرة 2 / 120 .
130 – آلاء الرحمن 1 / 238 .
131 – آل عمران 3 / 106 .
132 – ينظر : آلاء الرحمن 2 / 128 ، وقارن مع التبيان 2 / 552 ، مجمع البيان 2 / 360 ، الكشاف 1 / 399 ، مفاتيح الغيب 8 / 172 .
133 – آل عمران 3 / 107 .
134 – آلاء الرحمن 2 / 128 .
135 – أسرار البلاغة / 365 .
136 – جواهر البلاغة / 253 .
137 – النساء 2 / 231 .
138 – آلاء الرحمن 2 / 231 .
139 – البقرة 2 / 29 .
140 – آلاء الرحمن 1 / 169 .
141 – م . ن / 96 .
142 – طه 20 / 5 .

[1]43 – الإسراء 17 / 71 .

[1]44 – البقرة 2 / 255 .

[1]45 – ينظر : آلاء الرحمن 1 / 96 – 99 .

[1]46 – الرعد 13 / 27 .

[1]47 – إبراهيم 14 / 27 .

[1]48 – آلاء الرحمن 1 / 96 . وينظر أيضاً : آلاء الرحمن 1 / 355 عند تفسيره الآية (210) من سورة البقرة .

[1]49 – البقرة 2 / 232 .

[1]50 – آلاء الرحمن 1 / 390 .

[1]51 – ينظر : لسان العرب 3 / 503 ، مادة (شبه) .

[1]52 – العمدة 2 / 294 .

[1]53 – جواهر البلاغة / 214 .

[1]54 – آل عمران 3 / 117 .

[1]55 – آلاء الرحمن 2 / 137 .

[1]56 – ينظر : م . ن 1 / 156 – 157 .

[1]57 – البقرة 2 / 17 .

[1]58 – البقرة 2 / 171 .

[1]59 – آلاء الرحمن 1 / 281 .

[1]60 – البقرة 2 / 93 .

[1]61 – ينظر : الجمان في تشبيهات القرآن ، ابن ناقيا البغدادي / 95 – 96 .

[1]62 – البقرة 2 / 198 .

[1]63 – آلاء الرحمن 1 / 339 .

[1]64 – البقرة 2 / 223 .

[1]65 – البقرة 2 / 205 .

[1]66 – آلاء الرحمن 1 / 375 .

[1]67 – البقرة 2 / 250 .

[1]68 – آلاء الرحمن 1 / 419 . وينظر أيضاً : آلاء الرحمن 1 / 425 عند تفسيره الآية (255) من سورة البقرة .

[1]69 – البقرة 2 / 261 .

[1]70 – ينظر : دروس في البلاغة ، الشيخ معين العاملي / 68 .

[1]71 – آلاء الرحمن 1 / 433 .

[1]72 – الصورة الفنية في المثل القرآني ، د . محمّد حسين الصغير / 173 .

[1]73 – مختصر المعاني ، التفتازاني / 226 – 228 .

[1]74 – جواهر البلاغة / 264 .

[1]75 – البقرة 2 / 10 .

[1]76 – آلاء الرحمن 1 / 153 . وينظر أيضاً : آلاء الرحمن 2 / 122 عند تفسيره الآية (103) من سورة آل عمران .

[1]77 – البقرة 2 / 27 .

[1]78 – يس 26 / 60 .

[1]79 – آلاء الرحمن 1 / 167 .

[1]80 – جواهر البلاغة / 284 .

[1]81 – البرهان في علوم القرآن ، الزركشي 3 / 439 .

[1]82 – البقرة 2 / 41 .

[1]83 – آلاء الرحمن 1 / 183 .

[1]84 – ينظر : مختصر المعاني / 257 .

[1]85 – ينظر : م . ن / 257 .

[1]86 – البقرة 2 / 64 .

[1]87 – آلاء الرحمن 1 / 200 .

[1]88 – م . ن 1 / 200 .

[1]89 – النساء 4 / 43 .

[1]90 – آلاء الرحمن 2 / 430 .

[1]91 – م . ن 2 / 431 .

192 – البقرة 2 / 187 .

193 – البقرة 2 / 222 .

194 – البقرة 2 / 236 .

195 – المجادلة 58 / 3 .

196 – آل عمران 3 / 47 ، ومريم 19 / 20 .

197 – آلاء الرحمن 2 / 431 .

198 – جواهر الكلام 299 .

199 – البقرة 2 / 135 .

200 – النمل 27 / 63 .

201 – آلاء الرحمن 1 / 252 .

202 – البقرة 2 / 2 / 139 .

203 – النمل 27 / 63 .

204 – آلاء الرحمن 1 / 254 .

205 – البقرة 2 / 177 .

206 – آلاء الرحمن 1 / 286 .

207 – جواهر البلاغة / 308 .

208 – ينظر : لسان العرب ، ابن منظور 1 / 84 ، مادة (لفت) ، مجمع البحرين ، الطريحي 4 / 128 .

209 – أصول البلاغة ، كمال الدين البحراني / 143 .

210 – الفاتحة 1 / 5 .

211 – آلاء الرحمن 1 / 126 . وقد ذهب العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان 1 / 25 ، إلى أنّ الآية فيها التفات من الغيبة إلى الحضور .

212 – النساء 4 / 25 .

213 – آلاء الرحمن 2 / 374 .

214 – البقرة 2 / 146 .

215 – آلاء الرحمن 1 / 264 – 265 .

216 – البقرة 2 / 229 .

217 – آلاء الرحمن 1 / 387 .

218 – النساء 4 / 64 .

219 – آلاء الرحمن 1 / 133 .

220 – الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي 3 / 121 .

221 – البقرة 2 / 116 .

222 – آلاء الرحمن 1 / 236 .

223 – البقرة 2 / 133 .

224 – آلاء الرحمن 1 / 251 .

225 – البرهان في علوم القرآن 3 / 459 .

226 – البقرة 2 / 152 .

227 – آلاء الرحمن 1 / 269 .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .

1 – إرشاد الفحول ، محمّد بن علي الشوكاني (ت 125 هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت .

2 – أسرار البلاغة ، أبو بكر ، عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت 471 هـ) ، تح : هلموت ريتر ، مطبعة وزارة المعارف ، استانبول ، 1954 م .

3 – أُصول البلاغة ، الشيخ كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت 699 هـ) ، تح : اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، نشر مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، ط 1 ، قم ، 2012 م .

4 – أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين العاملي (ت 1371 هـ) ، تح وإخراج : حسن الأمين ، دار المعارف للمطبوعات ، بيروت ، د . ت .

5 – آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، الشيخ محمّد جواد البلاغيّ (ت 1352 هـ) ، تح : قسم الدراسات الإسلامية ، ط 1 ، مؤسسة البعثة ، قم 1420 هـ .

6 – إملاء ما منّ به الرحمن ، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت 616 هـ) ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1399 هـ – 1979 م .

7 – الإنصاف فيما تضمنه الكشاف ، الإمام ناصرالدين أحمد بن محمّد بن المنير الإسكندري (ت 683 هـ) ، ط 1 الأخيرة ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1385 هـ – 1969 م .

8 – البلاغة الحديثة على ضوء المنهج الإسلامي ، د . محمود البستاني ، ط 1، مطبعة سليمان زاده ، دار الفقه للطباعة والنشر ، قم ، 1424 هـ . ق – 1382 هـ . ش .

9 – البلاغة تطور وتأريخ ، شوقي ضيف .

10 – البلاغة والتطبيق ، د . أحمد مطلوب ، و د . كامل حسن البصير ، ط 1 ، مطابع بيروت الحديثة ، 1430 هـ – 2009 م .

11 – تفسير القرآن الكريم ، السيد مصطفى الخميني (ت 1398 هـ) ، تح : مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ، ط 1 ، مطبعة ومؤسسة البروج ، إيران ، جمادي الثاني 1428 هـ – 1376 ش .

12 – جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي ، ط 2 ، مطبعة أمير ، طهران ، الناشر مؤسسة الصادق للطباعة والنشر ، 1384 هـ .

13 – الجمان في تشبيهات القرآن ، عبدالله بن الحسين بن ناقيا (ت 485 هـ) ، تح : د . محمود حسن أبو ناجي الشيباني ، ط 1 ، مكان النشر ، جدة ، السعودية ، بيروت ، لبنان ، 1407 هـ – 1987 م .

14 – دروس في البلاغة ، الشيخ معين دقيق العاملي ، ط 1 ، دار الأئمة (ع) للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1433 هـ ، 2012 م .

15 – دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ، تصحيح محمّد عبده ومحمد محمود التركزي الشنقيطي ، مطبعة مجلة المنار ، القاهرة ، 1321 هـ .

16 – الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، الشيخ آغا بزرك الطهراني (ت 1389 هـ) ، ط 3 ، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ، 1403 هـ – 1983 م .

17 – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل شهاب الدين

محمود الآلوسي البغدادي (ت 1270 هـ) ، الطباعة المنيرية ، القاهرة ، د . ت .

18 – الصورة الفنية في المثل القرآني ، د . محمّد حسين علي الصغير ، دار الرشيد للنشر ، شركة المطابع النموذجية ، 1373 هـ – 1981 م .

19 – علل الشرائع ، أبو جعفر محمّد بن بابويه القمي (ت 381 هـ) ، تقديم السيد محمّد صادق بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف ، 1385 هـ – 1966 م .

20 – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) ، تح : محمّد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ، بيروت ، 1972 م .

21 – القاموس المحيط ، نجم الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ) ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، 1969 م .

22 – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ) ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1385 هـ – 1966 م .

23 – لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت 711 هـ) ، نشر أدب الحوزة ، قم ، إيران ، 1405 هـ .

24 – مجمع البحرين ، الشيخ فخرالدين الطريحي (ت 1085 هـ) ، تح : السيد أحمد الحسيني ، ط 2 ، مكتب النشر للثقافة الإسلامية ، 1408 هـ – 1367 ش .

25 – مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ) ، تح وتعليق : نخبة من العلماء والمحققين الاختصاصيين ، ط 1 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، 1415 هـ – 1995 م .

26 – المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ، ابن عطية الأندلسي (ت 546 هـ) تح : عبدالسلام عبدالشافي محمّد ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1413 هـ – 1993 م .

27 – مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت 626 هـ) ، المطبعة الأدبية ، القاهرة ، 1317 هـ .

28 – مفاتيح الغيب ، فخرالدين محمّد بن عمر بن الحسين الرازي (ت 606 هـ) ، المطبعة البهية ، مصر ، 1357 هـ – 1983 م .